حالة من الاسترخاء ، سرعان ما استغلتها اسرائيل جيدا ، ونجحت غاراتها التي شنتها على القطاع . ولا ندعي ان مزيدا من الجهد في تعبئة الجماهير كان سيمنع اسرائيل من شن غاراتها ، ولكنه كان سيحجم النجاحات التي حققتها على الاقل ، وكان سيسهم في ضبط ردود الفعل الاسرائيلية بدرجة كبيرة ، ويقلل عدد ضحايا الغارات الاسرائيلية .

لقد كان نشاط الفدائيين محكوما بالقرار السياسي للحكومة المصرية وحدود استعداداتها لدفع الصراع مع العدو الاسرائيلي ، وكان عمل الفدائيين عرضة للمساومة او للتوقف في ظل اي استعداد اسرائيلي جدي لتجميد الوضع على الحدود . وبكلمة اخرى ، كان نشاط الفدائيين ، من وجهة النظر المصرية ، ورقة تكتيكية في اطار سياسة الفعل ورد الفعل التي طبعت العلاقة بين مصر واسرائيل في تلك الفترة والفترة التي سبقتها . والواضح ، من خلال مراقبة التطورات السياسية التي سبقت حرب ١٩٥٦ ، ان الحكومة المصرية كانت على استعداد لوقف كامل لاطلاق النار لولا موقف اسرائيل التي كانت تشترط اعطاء مثل ذلك الاتفاق مضمونا سياسيا ، وان يكون جزءا من حل شامل لجملة القضايا السياسية العالقة بينهما . وقد تأكد هذا الامر جليا ابان عدوان ١٩٥٦ وبعده ، حيث أوقف نشاط الفدائيين كليا ، وكان جزءا من الترتيبات السياسية التي تمخضت عن عدوان ١٩٥٦ .

ان تولي ضابط مخابرات هو المقدم مصطفى حافظ قيادة الفدائيين ، على الرغم من كفاءته العسكرية ، قد سحب الفدائيين موضوعيا من الكتلة الجماهيرية التي كانوا يعملون فيها الى اشبه ما يكون بقطعة عسكرية تقليدية ، ليس لها من مهمة سوى القتال . واتبعت في مجال تعبئتها وتحريضها وسائل بدائية ، ولم يعط لها القدر المطلوب من الاهتمام السياسي. اضافة الى ذلك كانت قيادتها تمارس بطريقة مركزية شديدة للغاية ، محورها الاول والاخير تقريبا مصطفى حافظ ، مما حول علاقة الفدائيين بقائدهم الى علاقة اقرب ما تكون الى العلاقة الابوية او الشخصية ، وقد ترك الامر اثارا ايجابية على شخصيات المقاتلين ، ونسج درجة عالية جدا من الثقة بينهم وبين مسؤولهم ، الذي كان يلم بأدق تفاصيل حياتهم وهمومهم اليومية . ولكن هذه الايجابية سرعان ما انقلبت الى نقيضها ، وكان لها اثر مدمر على نشاط الفدائيين بعد استشهاد مصطفى حافظ ، حيث لم يكن سهلا على القيادة الجديدة ان تنجح في قيادتهم . والامر الذي ادخل العلاقة بين الفدائيين والقيادة الجديدة في مأزق ، وساد الفدائيين جو من عدم الثقة واللا انضباط. وتدنى بالتالي مستوى عملهم ، وكان سببا في نجاح سلاح الاشاعة الذي لجأ اليه العدو كما سبق ان أشرنا . ولعل من اكثر الامور دلالة على مركزية